



وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

﴿سورة الأنفال﴾

12 مارس 2020
بِقلم: د. عبدالرحمن البر

الحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانًا، و يجزي بالصر نجاه، سبحانه ربنا تطاع فتشكر، وتُعصى فتغفر، وتجب المضطر، وتكشف الضر، وتغفر الذنب، وتقبل التوبة، سبحانه من لطيف ما أطفك، ورؤوف ما أرفك، بسطت بالخبرات يدك، وعُرفت الهداية من عندك، فمن التمسك لدين أو دنيا وجدك، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه وخاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد الذي أدبه فأحسن تأديته، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذهُ صفته وحببته، ووفق للاقتداء به من أراد هدايته وتهذيبه، وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد؛ فهما اخْلُوكَت الظلمة وعُيبت شمس الخير والحق والفضيلة؛ فإنها تستشرق على الدنيا في يوم يراه المكذبون بعيدًا ونراه قريبًا، وسيصفو الجو الذي طالما تكدّر، وسيتبدد الظلم الذي طغى وتجبر، وستعلو راية الإسلام حَقَاقَةً، وستسقط زعامات الباطل مغلوبة مدحورة، وسيظهر الحق وبزهق الباطل، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ رَهْوقًا، ولن ينجح الانقلابيون الظلمة في الاستمرار في هذا الاستبداد، أو في جر هذا الشعب المسلم إلى الابتعاد عن جادة الإسلام، ما دامت هذه الجماهير المسلمة تمتلك تلك الطاقات الهائلة من الإيمان والوطنية وقوة العزيمة والإرادة، التي لا يمكن لأحد إخمادها.

لَا تَحْسِبُوا أَنَّ الْهَمومَ مُقِيمَةٌ رُوبِدًا فَإِنَّ اللَّهَ بِالْخَلْقِ أَبْصُرُ

سَتُؤَخَذُ ثَارَاتُ وَتُقَصَّى حَوَائِجُ وَتَبْدُو إِشَارَاتُ وَتُقَصَّمُ أَطْهَرُ

يُطَمَّسُ مِنْ شَأْنِ الْأَعَادِي تَوَارِيرُ وَيَطْهَرُ سِرُّ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ

الاستغفار سبيلنا إلى النصر والتكبير

حتى تبقى عزائم الصادقين متوهجة مستمرة في طريقها لبلوغ حريتها وعزتها فإنها في حاجة مستمرة لزيد من الإيمان واليقين، تستمد من صلتها بمصدر القوة والقدرة وهو الله رب العالمين، واليوم نلقي ضوءاً على أحد أسباب استمداد تلك القوة، وهو الإكثار والمداومة على الاستغفار، الذي هو اعتراف صريح من العبد بتقصيره وحاجته إلى معونة ربه، وقد ذكر الله لنا حال الربانيين حين تعرضوا للشدّة وكيف استنزلوا النصر والفلاح، فقال سبحانه "وَكَايِبٌ مِنْ تَيْبٍ قَاتِلٍ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ. وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَآتَاهُمُ اللَّهُ تَوَابًا دُونَ مَا حَسُنَ تَوَابِ الْأَخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " آل عمران: 146 – 148. يعني: فَآتَاهُمُ اللَّهُ تَوَابِ الدُّنْيَا بِالنَّصْرِ وَالطَّقِرِ بِالْعَدْوِ، وَالسِّيَادَةِ فِي الْأَرْضِ، وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْعِزَّةِ، وَحُسْنِ الْأَخْذِ وَتَسْرِفِ الدَّكْرِ، وَحُسْنِ تَوَابِ الْأَخِرَةِ بِتَبَلِ رِضْوَانِ اللَّهِ وَفُزَيْهِ، وَالتَّعْبِيرِ بِدَارِ كَرَامِيهِ.

بهذه رحلة مختصرة مع الاستغفار في ضوء القرآن والسنة:

- الله واسع المغفرة: "إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ" النجم 32، "هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ" المدثر 56، "وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ" الرعد 6، "مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ" فصلت 43.

- الله يدعو إلى الجنة والمغفرة: "وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ" البقرة 221، "وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وحنّة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين" آل عمران 133، "سارعوا إلى مغفرة من ربكم وحنّة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله" الحديد 21، "إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ" هود 11، "مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ" محمد 15.

- الأنبياء عليهم السلام يستغفرون: ومنهم: آدم "قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" الأعراف: 23، ونوح "رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَرِدْ عَلَيْنَا سَيِّئَاتٍ" آل عمران: 38، إبراهيم 41، وموسى "قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُوفُ الرَّحِيمُ" القصص 16، وداود: "وَطَرَّ دَاوُودُ أَنَّهَا قَاتِلَةٌ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَزَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ. فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَازِلٌ وَحُسْنٌ مَأْوٍ" ص 24-25، وسليمان "قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْغِبِي لِأَحَدٍ مِنْ بَنِي إِدْرِكَ" ص 25.

- الله يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار "وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا" النساء 105، "فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ" غافر 55.

- الله يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار عند النصر: "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا" النصر 3.

- والنبى صلى الله عليه وسلم يكثر من الاستغفار: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة" رواه البخاري. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نعدُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة: "رب اغفر لي، واثب عليّ إنك أنت التواب الرحيم" رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث صحيح. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل موته: "سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه" متفق عليه. وعن الأعرابي المرنبي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة" رواه مسلم.

بالعين: الغيم، والمراد ما يغشاها من السهو الذي لا يسلم منه البشر.

الفاضي عياض: قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي شأنه الدوام عليه، فإذا افتقر عنه أو غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه.

وقال أبو حاتم ابن حبان: ولاستغفاره صلى الله عليه وسلم معتبان: أحدهما أن الله جلَّ وعلا بعثه معلما لخلقهِ قولا وفعلًا، فكان يعلم أمته الاستغفار والدوام عليه، لِمَا عَلِمَ مِنْ مَقَارِفِهَا الْمَائِمِ فِي الْأَخْيَارِ بِاسْتِعْمَالِ الْإِسْتِغْفَارِ، وَالْمَعْنَى الثَّانِي: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْتَغْفِرُ لِنَفْسِهِ عَنْ تَفْصِيرِ الطَّاعَاتِ لَا الذُّنُوبِ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا عَصَمَهُ مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ، وَاسْتَحَبَّ لَهُ دَعَاةَ عَلَى سَبْطَانِيهِ حَتَّى أَسْلَمَ، وَدَاكَ أَنَّ مِنْ خَلْقِ الْمُضْطَلِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَتَى بِطَاعَةٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ دَاوَمَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَقْطَعْهَا، فَرُبَّمَا شِغِلَ بِطَاعَةٍ عَنْ طَاعَةٍ حَتَّى قَاتَتْهُ إِحْدَاهُمَا.

- الله يأمر نبيه بالاستغفار للمؤمنين "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَوَاقِعُكُمْ" محمد 19، "فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ" آل عمران 159، "إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِّنْ لِمَنْ بَيْنَتْ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ" النور 62، "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَتَّبِعُنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُبَشِّرَنَّ بِاللَّهِ سَيِّئًا وَلَا يُسِرْفَنَّ وَلَا يُزَيِّنَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَتَّيْنَنَّ بِيَهْتَانٍ يَفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِمَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَتَابِعَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ" الممتحنة 12.

- الله ينهى نبيه عن الاستغفار للمنافقين: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَلَوْ رُءُوسُهُمْ وَرَأَتْهُمْ بِضُغُونٍ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ. سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" المنافقون 5-6، "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك يأتيهم كقرؤوا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين" التوبة 80.

- الله يصف المتقين بالاستغفار بالأسحار: "لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ حَتَّاتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَرْوَاجُ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ. الَّذِينَ يُقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ" آل عمران 15-17، "وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ" الذاريات 18.

- الله يدعو المخطئين للاستغفار وبعدهم به: "وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا رَحِيمًا" النساء 110، "وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ" آل عمران 135-136، "وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا" النساء 64، "فَلْيَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ" الزمر 53، "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ" النساء 48 و116، "وَإِنِّي لَعَفَاظٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى" طه 82، "إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حَسَنًا بَدْعًا سُوءٍ فَلَّابِي عَفُورٌ رَحِيمٌ" النمل 11، "وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" البقرة 228، "أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُوهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ" المائدة 74.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لو لم تُدبُّوا، لذهب الله تعالى بكم، ولجاء بقوم يُدبُّون قيسغفرون الله تعالى قبيغف لهم" رواه مسلم.

وعن أسب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عتات السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تسرك بي سببًا، لأتيتك بقرابها مغفرة" رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

عن السماء يفتح العين: قيل: هو السحاب، وقيل: هو ما عن لك منها، أي: ظهر، و"قرب الأرض": هو ما يقارب ملئها.

فوائد الاستغفار للمستغفرين

- استغفار المؤمنين أمان من نزول العذاب بهم: "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ" الأنفال 33، وروى البيهقي في الشعب عن أبي هريرة وابن عباس في تفسير هذه الآية: "كان في هذه الأمة أمانتان: رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإستغفار، فذهب أمان - يعني - رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقي أمان - يعني - الإستغفار."

وروى البيهقي في الشعب أيضا عن رجاء بن حيوة، أنه سمع قاصدا، في مسجد منى يقول: "يا أيها الناس ثلاث خلال لا يعذبكم الله ما عملتم بهن: الشكر، والدعاء والإستغفار، ثم قال: "ما يفعل الله بعداكم إن شكرتم وأمنتم" النساء: 147 قال: "فل ما بعثنا بكم ربِّي لو لا دعاؤكم" الفرقان: 77 وقال: "وما كان الله ليُعذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ" الأنفال: 33 "وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ" الأنفال: 33."

- الاستغفار سبب للرحمة: "وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ" هود 90، "وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ" المزل 20، "لئن لم يرحمنا ربنا وبغفر لنا لتكوتن من الخاسرين" الأعراف 149، "قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لتكوتن من الخاسرين" الأعراف 23، "لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون" النمل 46.

- الاستغفار بعد العبادة من أسباب القبول: "ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَقَاصَ النَّاسِ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" البقرة 199.

- الاستغفار سبب للقرب من الله وإجابة الدعاء: "يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ" هود 61.

- الاستغفار سبب للرزق والقوة والنجاة من الشدائد: "فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَبُمُدِّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا" نوح 10-11، "وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ" هود 3، "وَمَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ" هود 52، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ قَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ" رواه أبو داود. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَجِبْتُ لِمَنْ يَهْلِكُ وَالنَّجَاهُ مَعَهُ! قِيلَ لَهُ: مَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: الْإِسْتِغْفَارُ. رواه ابن قتيبة في المجالسة .

- الاستغفار بضبط اللسان والأخلاق: عَنْ خَدِيجَةَ، قَالَ: كَانَ فِي لِسَانِي دَرَبٌ عَلَىٰ أَهْلِي (أَي كَانَ حَادًّا لِللسانِ لَا يُتَالَىٰ مَا قَالَ) وَكَانَ لَا يَغْدُوهُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَ: "أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ؟ تَسْتَعْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ، سَبْعِينَ مَرَّةً" رواه ابن ماجه، وفي روايه عند ابن حبان: "مِئَةً مَرَّةً".

أفضل أوقات الاستغفار

الاستغفار في كل وقت مستحب ومندوب إليه ويكون أكثر استحبابا عقب الطاعات وبخاصة في دبر الصلوات، لكنه أفضل ما يكون في آخر الليل في الأسحار قبل صلاة الفجر، فهذا أثنى الله على استغفار المؤمنين والمتقين، خصوصا وأن الله تعالى يتنول في ذلك الوقت إلى سماء الدنيا ويبسط يده للمستغفرين والسائلين: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "وَالْأَسْحَارَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ" الذاريات: 18 وَقَالَ: "وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ" آل عمران: 17، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَعْفِرَ لَهُ " (متفق عليه، وفي رواية عند مسلم): " يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، يَقُولُ: أَمَّا الْمَلِكُ، أَمَّا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَعْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُضِيَءَ الْفَجْرُ".

نُ تَافِعُ أَنْ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يُخَيِّبُ اللَّيْلَ ثُمَّ يَقُولُ: يَا تَافِعُ أَسْحَرْنَا؟، فَأَقُولُ: لَا فَيَعَاوِدُ الصَّلَاةَ، فَإِذَا قُلْتُ: تَعَمَّ، قَعَدَ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَدْعُو حَتَّىٰ يُصْبِحَ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: "أَنَّهُ يُتَادَىٰ مُتَادٍ كُلِّ سَحَرَةٍ مِنَ السَّمَاءِ: مَنْ سَائِلٌ يُعْطَى؟ مَنْ دَاعٍ يُجَاب؟ أَوْ مُسْتَعْفِرٌ يُعْفَرُ لَهُ؟ فَيَسْمَعُهُ مَنْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، أَفَلَا تَرَىٰ الذَّبِكَ وَأَسْبَاهَهَا مِنَ الدَّوَابِّ تَصِيحُ نَلِكَ السَّاعَةِ".

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَجُرُّ مِنْ تَاجِيَةِ دَارِهِ مُسْتَحْفِيًّا وَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ دَعَوْتِنِي فَأَجِبْنِي، وَأَمْرَتِنِي فَأَطِئَنَّكَ، وَهَذَا السَّحَرُ قَاعُفِرُ لِي، فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ: وَهَذَا السَّحَرُ قَاعُفِرُ لِي؟، فَقَالَ: إِنَّ يَعْفُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ سَوَّفَ بَيْنَهُمْ إِلَى السَّحَرِ .

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ فِي قَوْلِ يَعْفُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَبِيئَةَ: "سَوَّفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي" يوسف: 98 قَالَ: "أَحْرَهُمْ إِلَى السَّحَرِ".

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: "كُنَّا نَوْمُزُ إِذَا صَلَّيْنَا مِنَ اللَّيْلِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ مِنَ السَّحَرِ سَبْعِينَ مَرَّةً" وفي روايته: أُمِرْنَا أَنْ تَسْتَغْفِرَ اللَّهَ بِالسَّحَرَاتِ سَبْعِينَ مَرَّةً (مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر).

صيغ الاستغفار

الاستغفار بأي صيغة مقبول إن شاء الله متى صدق المستغفر فيه وأقر بذنبه واستغفر به، لكن هناك صيغا فضلها النبي صلى الله عليه وسلم، لا شك أن الالتزام بها أبلغ في الاستغفار وأدعى للقبول، وهاك أهمها:

- سيد الاستغفار: وَعَنْ سَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَلْطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ (أَي أُوِّرُ وَأُعْتَرِفُ) لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذُنُوبِي قَاعُفِرُ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِفًا بِهَا، قَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمِيسَ، فَهُوَ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِفٌ بِهَا قَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُضِيحَ، فَهُوَ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ" رواه البخاري.

- اسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال: اسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، عُفِّرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ قَرَّ مِنَ الرَّحْفِ" رواه أبو داود والترمذي والحاكم، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم.

- اسْتَغْفِرَ اللَّهَ: وَعَنْ ثُوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ، اسْتَغْفَرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَقَالَ: "اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِلْكُ السَّلَامِ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" قيل للأوزاعي وهو أحد رواة: كَيْفَ الْإِسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: يَقُولُ: اسْتَغْفِرُ اللَّهَ، اسْتَغْفِرُ اللَّهَ، رواه مسلم.

- رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ: وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَالِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: "رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ" رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث صحيح.

- سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، اسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ: وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَيِّرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ مَوْتِهِ: "سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، اسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ" متفق عليه.

حقيقة الاستغفار المأمور به

سُئِلَ ذُو النَّوْنِ عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ، فَقَالَ: " يَا أُخِي الْإِسْتِغْفَارُ اسْمٌ جَامِعٌ لِمَعَانٍ سِتَّةٍ: أَوَّلُهُنَّ: التَّدْمُ عَلَى مَا مَضَى، وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الرُّجُوعِ إِلَى الذُّنُوبِ
أَبَدًا، وَالثَّلَاثُ: إِذَا كَانَ فَرَضٌ صَبَّغْتُهُ فِيمَا بَيْتَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالرَّابِعُ: آدَاءُ الْمَطَالِمِ إِلَى الْمَحْلُوقِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَبُصَالِحِهِمْ عَلَيْهَا،
وَالخَامِسُ: إِذَابَةُ كُلِّ لَحْمٍ وَدَمٍ تَبَّتْ مِنَ الْحَرَامِ، وَالسَّادِسُ: إِذَاقَةُ الْبَدَنِ أَلَمِ الطَّاعَاتِ كَمَا ذَاقَ خَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ " (شعب الإيمان)

وكان يقول: "الاستغفار من غير إقلاع توبة الكذابين".

نداء إلى طلاب النصر والفرج

هلم نجعل لأنفسنا وردا من الاستغفار بالصيغ الفاضلة المذكورة، وليكن مائة من كل صيغة، على مدى اليوم، ولنجعل أكثر ذلك في جوف الليل وفي
الأسحار، موقنين بأن الغفور الرحيم سبحانه سيعطينا ما أملنا ويحقق لنا ما رجونا ويعجل لنا الفرج ويكتب لنا النصر.

www.ikhwanonline.com/article/238953